إذا ما كنت متخذاً صاحبا فلا تصحبن فتى دارميا

لم يرد بالخطاب رجلا بعينه إنما أراد من كان متخذا صاحبا فلا يجعله من دارم، وهذا وإن كان جائزا حسنا فان المذهب الأول أعجب إلىّ لأن الكلام اتصل حتى قال ـ أفأنت تُكره الناسَ حتى يكونوا مؤمنين ـ . وهذا لايجوز أن يكون إلا لرسول الله ﷺ (فلولا كانتْ قريةٌ آمنتْ فنفعَها إيمانُها إلاَّ قومَ يونُسَ) أى فهلا آمنت قرية غير قوم يونس (قل انظُروا ماذا فى السّمواتِ) من الدلائل (ومافى الأرض) واعتبروا

﴿ غريب سورة هود عليه السلام ومشكلها ﴾

(أُحكِمَتْ آياتُه) فلم تنسخ (ثم فُصِّلَتْ) بالحلال والحرام ويقال فصلت أنزلت شيئا بعد شىء، ولم تنزل جملة (مِن لَدنْ حَكيمٍ خَبيرٍ) أى من عند حكيم خبير ﴿ش﴾ قال أبو محمد :لدن بمعنى عند قال ـ قَدْ بَلَغْتَ من لدنّى عُذراً ـ أى بلغت عندى . وقد تحذف منها النون كما تحذف من لم يكن قال الشاعر [1]

من لدُ لحييه إلى منخوره

أى من عند لحييه ، وفيه لغة أخرى ـ لدى ـ قال الله تعالى : ـ وألفيا سيّدها لدى البابِ ـ أى عند الباب (يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً) أى يعمركم، وأصل الامتاع الاطالة يقال : أمتع الله بك ، ومتع الله بك إمتاعا ومتاعا ، والشىء الطويل ماتع وقد متع النهار إذا تطاول (يَثْنُونَ صُدورَهُم) أى يطوون مافيها ويسترونه (لِيَسْتَخْفُوا) بذلك من الله عز وجل (أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ

(١) هو غيلان بن حريث . وصدر البيت : يستوعب النوعين من حريره .

ثيابهم) أى يسترون بها ويستغشونها ﴿ش﴾ ألا تنبيه وهى زيادة فى الكلام تقول ألا إن القوم خارجون تريد بها افهم إعلم أن الأمر كذا ﴿غ﴾ (ويعلمُ مُسْتَقَرَّهَا ومُسْتَوْدَعَهَا). قال ابن مسعود: مستقرها الارحام ومستودعها الأرض التى تموت فيها (إلى أمةٍ) أي إلى حين بغير توقيت. وأما قوله تعالى ـ وادّكر بعد أمة ـ فيقال: بعد سبع سنين و(يؤوسٌ) فعول من يئست أى قنوط (ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّى) أى البلايا (من كانَ يُرِيدُ الحياةَ الدُّنيا وزينتَهَا نُوَفِّ إليهِم أعمالَهُم فيها) أى نؤتهم ثواب أعمالهم فيها (وهُم فيها لا يُبْخَسُونَ) أى لا ينقصون ﴿ش﴾ (لا جَرَمَ) أى حقا قال الفراء: هى بمنزلة لابد ولا محالة ثم كثرت فى الكلام حتى صارت بمنزلة حقا. وأصل جرمت كسبت قال وقال الشاعر: —[1]

ولقد طعنتُ أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أى كسبتهم الغضب أبدا. قال: وليس قول من قال: حق لفزارة الغضب بشىء. ويقال فلان جارم أهله أى كاسبهم وجريمتهم ولا أحسب الذنب يسمى جرما إلا من هذا لأنه كسب واقتراف ﴿ش﴾ (أفَمَنْ كانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) الآية قال أبو محمد: هذا كلام مردود إلى ماقبله محذوف منه الجواب للاختصار. وإنما ذكر الله سبحانه قبل هذا الكلام أقواما ركنوا إلى الدنيا ورضوا بها عوضا من الآخرة وزينتها فقال ـ من كان يُرِيدُ الحياةَ الدنيا وزينَتَهَا نُوَفِّ إليهم أعمالَهُم فيها وهُم فيها

---

(١) هو أبو أسماء بن الضريبة

لا يبخسون - أى نوفهم أعمالهم فى الدنيا اذا كان عملهم لها وطلبهم ثوابها و(لَيسَ لَهُمْ فى الآخرةِ إلا النَّارُ وحبِطَ ما صَنَعوا فيها) أى ذهب وبطل لأنهم لم يريدوا الله عز وجل بشىء منه ثم قايس بين هؤلاء وبين النبى ﷺ وصحابته فقال (أفَمَنْ كانَ على بَيِّنةٍ مِنْ رَبِّه) يعنى محمداً ﷺ (ويَتْلوه شاهِدٌ مِنْه) أى من ربه ، الهاء مردودة إلى الله تعالى والشاهد من الله للنبى جبريل صلوات الله عليهما وسلامه يريد أنه يتبعه يؤيده ويسدده ويقال الشاهد القرآن يتلوه يكون بعده تاليا شاهداً له . وهذا أعجب إلىّ لأنه يقول: (وَمِنْ قَبْلِهِ كِتابُ مُوسى) يعنى التوراة (إماماً ورَحمَةً) قبل القرآن ويشهد له بما قدم الله فيها من ذكره والجواب ها هنا محذوف أراد أفمن كان هذه حاله كهذا الذى يريد الحياة الدنيا وزينتها ؟ فاكتفى من الكلام بما تقدم إذ كان فيه دليل عليه ، ومثله - أفَمَنْ هوقانِتٌ آناءَ اللَّيلِ ساجداً وقائما يَحذَرُ الآخرةَ ويَرجُو رحمةَ ربِّه - لم يذكر الذى هو ضده لأنه قال بعد - هَلْ يستَوى الَّذينَ يعلَمُون والَّذينَ لَا يعلَمُونَ - والقانتون آناء الليل والنهار هم الذين يعلمون ، وأضدادهم هم الذين لا يعلمون فاكتفى من الجواب بما تأخر من القول إذ كان فيه دليل عليه وقوله (أولئِكَ يؤْمنُونَ بِهِ) يعنى أصحاب محمد ﷺ يؤمنون بهذا (وَمَنْ يَكْفُر به منَ الاحزَابِ) يعنى مشركى العرب وغيرهم على ماتقدم فى باب الكناية . ﴿غ﴾ (أراذِلُنَا) شرارنا جمع أرذَل يقال رجل رذل وقد رذل رذالة ورذولة (بادِىَ الرَّأىِ) أى ظاهر الرأى بغير همز من قولك: بدا لىَ ما كان خفيا أى ظهر ومن همزه

جعله أول الرأى من بدأت فى الأمر فأنا أبدأ (أرأيتُمْ إن كُنتُ على بَيِّنَةٍ منْ ربِّى) على يقين وبيان (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) أى عميتم عن ذلك يقال عمِىَ علىّ الأمر إذا لم يفهمه وعميت عنه بمعنى (أنُلْزِمُكُمُوها) أى نوجبها ونأخذكم بفهمها وأنتم تكرهون ذلك (قل إن افتَرَيْتُهُ) أى اختلقته (فعلىّ إجْرَامى) أى جُرمُ ذلك الاختلاق إن كنت فعلت (وأنا بَرِىءٌ ممّا تُجْرِمُون) فى التكذيب (والفُلْكَ) السفينة وجمعها فلك مثل الواحد (مِنْ كلٍّ زَوْجَين اثنَيْن) أى من كل ذكر وأنثى اثنين (وأهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَقَ عليه القَوْلُ) أى سبق القول بهلكته (مجْرَاها) مسيرها (ومُرْساها) حيث ترسى وترسو أيضاً أي تقف (يَعْصِمُنى مِنَ المَاءِ) أى يمنعنى منه (قال لاَ عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ) أى لامعصوم اليوم من أمر الله (إلاَّ مَنْ رَحِمَ) ومثله ماء دافق يعنى مدفوق (وغيض الماءُ) أى نقص يقال غاض الماء وغضته أى نقص ونقصته (وقُضِىَ الأَمْرُ) أى فرغ منه فغرق من غرق ونجا من نجا (والجودىُّ) جبل بالجزيرة (إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ) لمخالفته إياك. وهذا كما يقول الرجل لابنه إذا خالفه اذهب فلست منك ولست منى لا يريد به دفع نسبه أى قد فارقتك (وإلى عادٍ أَخاهُم هُوداً) جعله أخاهم لأنه منهم (إنْ نَقُولُ إلاَّ اعْتَرَاكَ بعضُ آلِهَتِنَا بسوء) أى أصابك بخبل يقال أعرانى كذا وكذا واعترانى إذا ألَمَّ بى. ومنه قيل لمن أتاك يطلب قائلك عار. ومنه قول النابغة: —

أتيتُك عاريا خلقا ثيابى ... على خوف تُظَنُّ بِىَ الظنونُ

(العَنِيدُ) والعائد والعنود المعارض لك بالخلاف عليك (إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا) استعارة أى يقهرها ويذلها بالملك والسلطان وأصل هذا أن من أخذت بناصيته فقد أذللته وقهرته ومنه قيل فى الدعاء ناصيتى بيدك أى أنت مالك لى قاهر ﴿ش﴾ (وَأُتْبِعُوا فِى هَذِهِ الدُّنيا لَعْنَةً) أى أُلحقو (فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ) أى غير نقصان (بِعِجْلٍ حَنِيذٍ) أى مشوى يقال حنذت الجمل اذا شويته فى خدٍ من الأرض بالرضف وهى الحجارة المحماة وفى الحديث أن خالد بن الوليد رضى الله عنه أكل مع رسول الله ﷺ فأتى بضب محنوذ (فلمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ) يريد رآهم لا يأكلون (نَكِرَهُمْ) أنكرهم يقال نكرتك وأنكرتك واستنكرتك (وأوجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) أى أضمر فى نفسه خوفا (فَضَحِكَتْ). قال عكرمة: حاضت من قولهم ضحكت الأرنب إذا حاضت وغيره من المفسرين يجعله الضحك عينه وكذلك هو فى التوراة ﴿قال أبو محمد﴾ وقرأت فى التوراة أنها حين بشرت بالغلام ضحكت فى نفسها وقالت: من بعدما بلغت أعود شابَّةً وسيدى إبراهيم قد شاخ فقال الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام لم ضحكت سِرًّا وقالت أحقٌّ أن ألد وقد كبرتُ فَجَحَدَتْ سِرًّا ﴿قال أبو محمد﴾ اسم سارة فى التوراة سِرًّا وقالت لم أضحك من أجل أنها خشيت فقال بل لقد ضحكت (ومِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ) أى بعد إسحاق يعقوب قال أبو عبيدة الوَرَاء ولدُ الولد (وَسِيءَ بِهِمْ) فُعِلَ بهم من السوءِ (وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) أى شديد ويقال يوم عصيبٌ وعَصَبْصَبٌ (وَجَاءَهُ قَوْمُهُ

يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) أى يُسْرِعُون إليه يقال أهرع الرجل اذا أسرع على لفظ مالم يسمّ فاعله كما يقال أُرْعِدَ (هؤُلاء بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) أى تزوجوهن فهن أطهر لكم (فى ضيفى) أى فى أضيافى والواحد يدل على الجميع كما يقال هؤلاء رسولى ووكيلى (قالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) أى لم نتزوجهن قبل فنستحقهن (أَوْ آوِى إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ) أى إلى عشيرةٍ عشرة (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ) أى سِرْ بهم ليلا (بِقِطْعٍ) منه أى ببقية تبق من آخره والقطعة والقطع شىءٌ واحد (حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) يذهب بعض المفسرين إلى أنها سَنْك كِلْ بالفارسية ويعتبرونه بقوله عز وجل - حِجَارَةً من طِينٍ - يعنى الآجُرّ كذلك قال ابن عباس رضى الله عنه وقال أبو عبيدة السجيل الشديد وأنشد لابن مقبل

* ضَرْبًا تواصَتْ به الأبطالُ سِجِّينَا *(١)

قال يريد ضرباً شديداً ﴿ قال أبو محمد ﴾ ولست أدرى ماسِجِّينٌ من من سجِّيلٍ وذلك باللام وهذا بالنون وإنما سجين فى بيت ابن مقبل فِعِّيلٌ من سَجَنْت أى حبست كأنه قال ضرب يُبَيِّت صاحبَه بمكانه أى أى يحبسه مقتولاً أو مقارباً للقتل وفِعِّيل لما دام منه العمل كقولك رجل فِسِّيق وسِكِّير وسِكِّيت اذا دام منه الفِسق والسُّكُوت والسُّكْر وكذلك سجين انما هو ضرب يدوم منه الاثبات والحبس . وبعض الرواة يرويه سِخِّين من السخونة أى ضرباً سُخنا (مَنْضُودٍ) أى بعضه على بعض كما

(١) هذا عجز بيت وصدره : ورفقة يضربون البيض ضاحية

تنضد الثياب وكما ينضد اللبن (مُسَوَّمَةً) أى معلمةً بمثل الخواتم والسّوْمة العلامة (بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ) أى ما أبقى الله لكم من حلال الرزق خير لكم من التطفيف (أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ) أى دِينُكَ ويقال قِراءتك (لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي) أى لا يكسبنكم ويجر عليكم شقاقى أى عداوتى أن تهلكوا (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) أى قتلناك وكانوا يقتلون رجماً فسمّى القتل رجماً ومنه قوله عز وجل ـ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وليمسّنكم منّا عذابٌ أليم ـ (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا) أى لم تلتفتوا إلى ما جئتكم به عنه ، تقول العرب جعلتنى ظِهْرِيًّا وجعلت حاجتى منك بِظَهْرٍ إذا أعرضت عنه وعن حاجته (وَارْتَقِبُوا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ) أى انتظروا إنّى معكم منتظر (أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ) يقال بَعِدَ يَبْعَدُ إذا كان بُعْدُه هَلَكَةً وبَعُدَ يَبْعُدُ اذا نأى (الرِّفد) العطية يقول اللعنة بئس العطية يقال رفدته أرفده إذا أعطيته وأعنته و(المَرْفُودُ) المعطى كما يقال بئسَ العطاء المعطى و(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ القُرَى) أىْ من أخبار الأمم (مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) أى ظاهر للعين وحصيد قد أبيدَ وحُصِدَ (مَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) أى غير تخسير ومنه قوله عز وجل ـ تبّت يدا أبى لهب ـ أى خسرت (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ) ﴿قال أبو محمد﴾ فى باب التناقض والاختلاف فيما رد عليهم من ذلك إن للعرب فى معنى الأبد ألفاظًا يستعملونها فى كلامهم يقولون لا أفعل ذاك ما اختلف الليل والنهار وماظمأ[1]

(١) وما ظمأ كذا فى الاصل ولعله طغى تحريف من الكاتب

البحر أى ما ارتفع وما أقام الجبل وما دامت السموات والأرض فى أشباه لهذا كثيرة يريدون لا أفعله أبداً لأن هذه المعانى عندهم لا تتغير عن أحوالها أبداً فخاطبهم الله سبحانه بما يستعملون فقال ـ خالدينَ فيها مَادامَت السّموات والأرض ـ أى مقدار دوامهما وذلك مدة العالم وللسماء والأرض وقت يتغيران فيه عن هيئتهما يقول الله عز وعلا ـ يومَ تُبَدّلُ الأرْضُ غيرَ الأرْضِ والسّموات ـ وقال تعالى ـ يوم نَطْوِى السّمَاءَ كَطَىّ السِّجلّ للكتُبِ ـ فأراد أنهم خالدون فيها مدة العالم سوى ماشاء الله أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم ثم قال (عَطَاءً غيرَ مَجْذوذٍ) أى غير مقطوع وإلاّ فى هذا الموضع بمعنى سوى ومثله فى الكلام لَأَسكُنَنّ فى هذه الدار حَوْلاً إلا ماشئتُ يريد ماشئت أن أزداد على الحول ، هذا وجه وفيه قول آخر وهو أن يجعل دوام السموات والأرض فى الدنيا بمعنى الأبد على ماتعرف العرب وتستعمل وإن كانتا قد يتغيران ويستثنى المشيئة من دوامهما لأن أهل الجنة وأهل النار قد كانوا فى وقت من أوقات دوام السموات والأرض فى الدنيا لا فى الجنة ولا فى النار فكأنه قال خالدين فى الجنة وخالدين فى النار دوام السماء والأرض إلا ماشاء ربك من تعميرهم فى الدنيا قبل ذلك ، وفيه وجه ثالث وهو أن يكون الاستثناء من الخلود مكثَ أهل الذنوب من المسلمين فى النار حتى تلحقهم رحمة الله وشفاعة رسوله الكريم ﷺ فيخرجوا منها إلى الجنة فكأنه قال خالدين فى النار مادامت السموات والأرض إلاّ ماشاء ربُّكَ من إخراج المذنبين من المسلمين إلى الجنة وخالدين

فى الجنة مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك من إدخال المذنبين النار مدة من المدد ثم يصيرون إلى الجنة (وأما قوله) ـ لا يَذُوقُون فيها المَوْت إلاّ المَوْتَةَ الأُولى ـ فان إلاّ فى هذا الموضع أيضاً بمعنى سوى ومثله — ولا تنكِحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلفَ — يريد سوى ماقد سلف فى الجاهلية قبل النهى. وإنما استثنى الموتة الأولى وهى فى الدنيا لأن السُّعداء حين يموتون يصيرون بما شاء الله من لطفه وقدرته إلى أسباب الجنة ويتفاضلون أيضاً فتلك الأسباب على قدر منازلهم عند الله عز وجل فمنهم من يلقاه الروح والريحان ومنهم من يفتح له باب الجنة ومنهم الشهداء وأرواحهم فى حواصل طير خضرٍ تعلق فى الجنة وجعفر بن أبى طالب رضوان الله عليه ذو الجناحين يطير مع الملائكة فى الجنة والله سبحانه يقول ـ ولا تَحْسَبَنَّ الَّذين قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ـ أفما ترى أنهم عندنا موتى وهم فى الجنة متصلون بأسبابها فكيف لايجوز أن يستثنى من مكثهم فيها الموتة الأولى ﴿غ﴾ (غَيرَ مَجْذُوذٍ) غيرَ مقطوع يقال جذذْتُ وجدَدْتُ وجَذَفْتُ وجذفت إذا قطعت (وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أى نظرة لهم إلى يوم القيامة (لَقُضِىَ بَيْنَهم) فى الدنيا (فَاسْتَقِمْ كما أُمِرْتَ) أى امض على ما أمرت به (وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ) أى ساعة من الليل بعد ساعة واحدها زُلفة يقال أزلفنى كذا عندك أى أدنانى والمزالِفُ المنازل والدّرج وكذلك الزُّلَفُ قال العجاج :